*قصة الذبيح ابن إبراهيم # (2)*

*بحث فى الدخيل فى التفسير*

*إعداد أ/ ميريهان مجدي محمود*

*قسم التفسير وعلوم القراَن*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*mirihan@mediu.ws*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في قصة الذبيح ابن إبراهيم #**

**الكلمات المفتاحية : الكلام ، الإسرائيليات ، الآيات**

1. **المقدمة**

**الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن قصة الذبيح ابن إبراهيم #**

1. **عنوان المقال**

**فالكلام هنا، ما قول اليهود الذين يحرفون في هذا الكلام؟ وكيف يتأتى أن يكون إسحاق وحيدًا مع هذه النصوص التي هي من توراتهم التي يعتقدون صحتها ويزعمون أنها ليست محرفة؟ ثم ما رأيهم في الروايات التي تقول: إن الذبيح إسحاق بعدما تأكدوا تحريف التوراة في هذا؟.**

**دلَّ القرآن الكريم ودلت التوراة ورواية البخاري في صحيحه على أن الخليل إبراهيم # أسكن هاجر وابنها عند مكان البيت المحرم، وقد بُني فيما بعد، وقامت مكة بجوار هذا البيت، وقد عبَّرت التوراة بأنهما كانا في برية فاران، وفاران هي مكة كما يعبر عنها العهد القديم، وهذا هو الحق في أن قصة الذبح كان مسرحها بمكة ومنى، وفيها يذبح الحُجاج ذبائحهم اليوم، وقد حرف اليهود النص الأول وجعلوه جبل المريا، وهو الذي تقع عليه مدينة أورشاليم القديمة؛ مدينة القدس الإسلامية اليوم؛ ليتمَّ لهم ما أرادوا فأبى الحق إلا أن يظهر تحريفهم.**

**وقد ذكر العلامة شيخ الإسلام "ابن تيمية" وتلميذه "ابن كثير" أن في بعض نسخ التوراة لفظ "بكرك" بدل كلمة "وحيدك"، هما نقلوا عبارة وحيدك،"خذ ابنك وحيدك" في بعض الروايات "خذ ابنك بكرك" بدل وحيدك، وهذا أظهر في البطلان وأدل على تحريف كلام اليهود في توراتهم؛ إذ لم يكن إسحاق بكرًا للخليل بنص التوراة.**

**هيا نؤكد أن الذبيح هو إسماعيل #، فالحق أن الذبيح هو إسماعيل # وهو الذي يدل عليه ظواهر الآيات القرآنية، والآثار عن الصحابة والتابعين، ومنها ما له حكم الرفع بتقرير النبي  له، فلا عجب أن ذهب إليه جمهرة الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وأئمة العلم والحديث؛ منهم الصحابة النجباء والسادة العلماء، منهم علي وابن عمر وأبو هريرة، فقد ذكروا أن الفاروق عمر > كان يقول: إنه إسحاق، وأنا استبعد ذلك جدًّا، الإمام الشيخ أبو شهبة يقول: وأنا استبعد ذلك أن عمر يقول: إنه إسحاق، وهو أيقظ من أن يخدع برواية كعب، ولو صح ما نقل عنه؛ لتأثر الابن بأبيه، وكذلك اختلف في علي، فالبغوي على أنه يقول: إسحاق، وابن أبي حاتم على أنه يقول: إسماعيل، تفسير ابن كثير فيه كثير.**

**مشاهير الصحابة؛ علي، وابن عمر، وأبو هريرة، وأبو الطفيل، وسعيد بن جبير، ومجاهد، والشعبي، والحسن البصري، ومحمد بن كعب القرظي، وابن المسيب، وأبو جعفر محمد الباكر، وأبو صالح، والربيع بن أنس، وأبو عمرو بن العلاء، وابن حنبل الإمام، وغيرهم؛ كل ذلك في الروايات القوية الثابتة عنهم أنه هو إسماعيل >، وكذلك ورد عن ابن عباس.**

**في (زاد الميعاد) لابن القيم قال: إنه الصواب أن الذبيح إسماعيل عند علماء الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وهذا الرأي هو المشهور عند العرب قبل البعثة، نقلوه بالتواتر جيلًا عن جيل، وذكره أمية بن أبي السلط في شعر له.**

**ينقل لنا أيضًا العلامة "الشيخ أبو شهبة" فيقول تحت عنوان: العلماء المحققون على أنه إسماعيل # فيقول: نقل العلامة ابن القيم عن شيخيه ابن تيمية كلامًا هذا خلاصته: ولا خلاف بين النسابين أن عدنان من ولد إسماعيل # وإسماعيل هو القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وأما القول بأنه إسحاق فباطل من عشرين وجهًا، وسمعت شيخ الإسلام "ابن تيمية" -قدس الله روحه- يقول: "هذا القول متلقى عن أهل الكتاب القول بأنه إسحاق مع أنه باطل بنص كتابهم، فإن فيه: إن الله أمر إبراهيم بذبح ابنه البكر، وفيه لفظ وحيده، ولا يشك أهل الكتاب مع المسلمين أن إسماعيل هو بكر أولاده، والذي غر هؤلاء أنه في التوراة التي بأيديهم اذبح ابنك إسحاق، قال: وهذه الزيادة من تحريفهم وكذبهم؛ لأنها تناقض قوله: اذبح بكرك ووحيدك، ولكن اليهود حسدت بني إسماعيل على هذا الشرف وأحبوا أن يكون لهم، وأن يسوقوه إليهم، ويختاروه لأنفسهم دون العرب، ويأبى الله إلا أن يجعل فضله لأهله.**

**ثم إننا نقول: وكيف يسوغ أن يقال: إن الذبيح إسحاق؟ والله -تعالى- قد بشَّر أم إسحاق به وبابنه يعقوب، قال -تعالى-:** {ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ} **هود: 71]، فمحال أن يبشرها بأن يكون لها ولد، وللولد ولد، ثم يأمر بذبحه، هذا كلام عظيم من شيخنا الشيخ أبو شهبة، ولا ريب أن يعقوب # داخل في البشارة، ويدل عليه أيضًا أن الله ذكر قصة إبراهيم وابنه الذبيح في سورة "الصافات"، ثم قال بعد ذلك:** {ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ} **[فاطر: 112]، وهذا ظاهر جدًّا في أن المُبَشَّر به غير الأول، بل هو كالنص في ذلك، وغير معقول في أفصح الكلام وأبلغه أن يبشر بإسحاق بعد قصة يكون فيها هو الذبيح؛ فتعيَّن أن يكون الذبيح غيره، وهذا لا يكون إلا إسماعيل #.**

**وأيضًا لا ريب أن الذبيح كان بمكة؛ ولذلك جعلت القرابين يوم النحر بها، كما جعل السعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار؛ تذكيرًا لشأن إسماعيل وأمه، وإقامته لذكر الله، ومعلوم أن إسماعيل وأمه هما اللذان كانا بمكة دون إسحاق وأمه، ولو كان الذبح بالشام -كما يزعم أهل الكتاب- لكانت القرابين والنحر بالشام لا بمكة، وأيضًا فإن الله -سبحانه- سمى الذبيح "حليمًا"؛ لأنه لا أحلم ممن أسلم نفسه للذبح طاعة لربه، ولما ذكر إسحاق سماه "عليمًا":** {ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ} **[الذاريات: 28]، وهذا إسحاق بلا ريب؛ لأنه من امرأته وهي المبشرة به، وأما إسماعيل فمن السرية، وأيضًا فلأنهما بُشِّرا به على الكبر واليأس من الولد، فكان ابتلاؤهما بذبحه أمرًا بعيدًا، وأما إسماعيل فإنه ولد قبل ذلك.. إلى آخر ما قال، وكلمة إسماعيل من السرية؛ السرية: أي الجارية.**

**أما الآثار التي تدل على أن الذبيح إسماعيل فكثيرة، فقد دلَّت بعض الأحاديث عن الصحابة والتابعين، أحاديث وآثار على أن الذبيح إسماعيل، روى الحاكم في (المستدرك) وابن جرير في تفسيره بسنده، وغيرهما، عن عبد الله بن سعيد الصنابحي قال: "حضرنا مجلس معاوية، فتذاكر القوم إسماعيل وإسحاق، أيهما الذبيح؟ فقال بعضهم: إسماعيل، وقال البعض: إسحاق، فقال معاوية: على الخبير سقطم، كنا عند رسول الله  فآتاه أعرابي، فقالوا: يا رسول الله خلفت الكلأ يابسًا، والمال عابسًا -يراد أن الحياة كان فيها شدة وبأس، شدة جوع وعطش- هلك العيال وضاع المال، فعُد علي مما أفاء الله -تعالى- عليك يابن الذبيحين، فتبسم رسول الله  ولم يُنكر عليه، فقال القوم: من الذبيحان يا أمير المؤمنين؟ فقال: إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم نذر لله إن سهل أمرها أن ينحر بعض بنيه، فلما فرغ أسهم بينهم فكانوا عشرة، فخرج السهم على عبد الله، فأراد أن ينحره فمنعه أخواله بنو مخزون، وقالوا: ارضِ ربك وافد ابنك، ففداه بمائة ناقة، قال معاوية: هذا واحد والآخر إسماعيل.**

**يقول الشيخ "أبو شهبة" في تخريجه على هذا الحديث هذا الحديث في حكم المرفوع لتقرير النبي  للأعرابي على مقالاته، واختلف فيه؛ فمنهم من صححه، ومنهم ضعفه، ولكنه أثر موجود.**

**وشهد شاهد على أهلها فقد روى ابن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي، أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة، فقال له عمر: إن هذا لشيء ما كنت انظر فيه، وإني لأراه كما قلت، ثم أرسل إلى رجل كان يهوديًّا، فأسلم، وحسن إسلامه، وكان من علمائهم، فسأله: أي ابني إبراهيم أمر بذبحه؟ فقال: إسماعيل والله يا أمير المؤمنين، وإن يهودًا لتعلم بذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب، وهذا هو الحق الذي يجب أن يصار إليه.**

**قال العلامة ابن كثير في تفسيره: والذي استدل به محمد بن كعب القرظي على أنه إسماعيل أثبت وأصح وأقوى، والله أعلم. انظر تفسير ابن كثير، وانظر أيضًا (معالم التنزيل) للبغوي، فقد أوردوا هذه الرواية وقالوا هذا الكلام.**

**وبعد هذا التحقيق والبحث يتبيَّن لنا أن الصحيح أن الذبيح إسماعيل # وأن ما رُوي من أنه إسحاق والمرفوع منه إما موضوع وإما ضعيف لا يصح الاحتجاج به، والموقوف منه على الصحابة أو على التابعين إن صح سنده إليهم، نقول: هو صحيح الإسناد لكنه في المتن من الإسرائيليات التي رواها أهل الكتاب الذين أسلموا، وأنها في أصلها من دسائس اليهود وكذبهم وتحريفهم للنصوص؛ حسدًا للعرب ولنبي العرب، فقاتلهم الله أنَّى يُؤفكون، يريدون أن يقولوا: إن النبي من العرب من نسل إسماعيل # نحن نقول: إنه رسولنا من نسل إسماعيل # لكنهم يريدون أن يقولوا: إنه نبي للعرب فقط، ونحن نقول: هو نبي الله إلى قومه وإلى الناس كافة، فهو رسول الله إلى الناس جميعًا.**

**هذا الدسّ اليهودي جاز على بعض كبار العلماء كابن جرير والقاضي عياض والسهيل؛ فذهبوا إلى أنه إسحاق، وتحيَّر بعضهم في الروايات فتوقف؛ الإمام السيوطي العجب منه أن نراه يتوقف عند هذه الروايات، وحاول البعض الجمع بينها فزعم أن الذبح وقع مرتين، شيء عجيب، والحق هو ما سبق القول به وهو أنه إسماعيل # فهو القول الذي تؤيّده الشواهد والآثار والنصوص، والله أعلم.**

**ثم نعقّب بأن الإسرائيليات في قصص الأنبياء والأمم السابقة كثيرة، ما أكثرها، وما أشدّ خطرها على كتب الثقافة الإسلامية؛ وخاصة كتب التفسير، كتب التفسير على اختلاف مناهجها جاء فيها إسرائيليات كواذب، مرويات بواطل لا يحصيها العدّ، وهذا يتعلق بقصص الأنبياء والمرسلين والأمم والأقوام السابقين، والعجب أن بعض الصحابة والتابعين يروون هذا الهراء، وربما رفعوه إلى رسول الله  بينما هذه المرويات والحكايات لا تمّت إلى الحقيقة، ولا تمت إلى الإسلام، وإنما هي من خرافات بني إسرائيل وأكاذيبهم وافتراءاتهم على الله وعلى رسوله، رواها عن أهل الكتاب الذين أسلموا وأخذها منهم الصحابة أو بعض الصحابة والتابعين، وفيها ما هو محرف، وفيها ما هو منقول من الأباطيل، والحقيقة لا يمكن استقصاء كل ما ورد من الإسرائيليات وإلا احتجنا إلى مجلدات، وإنما سنكتفي بما ورد في المنهج ونبين بطلانه وخطأه، وخاصة ما يخل بالعقيدة الصحيحة إن شاء الله.**

**المصادر والمراجع**

1. **المحمدي عبد الرحمن، (الدخيل في التفسير) ، القاهرة، جامعة الأزهر، مطبعة حسان، 2009م.**
2. **الذهبي، محمد حسين الذهبي، (التفسير والمفسرون) ، طبعة دار الأرقم، 1999م.**
3. **الذهبي، محمد حسين الذهبي، (الإسرائيليات في التفسير والحديث) ، طبعة مكتبة وهبة، 1990م.**
4. **شليوه، سمير شليوه، (الدخيل والإسرائيليات) ، القاهرة، جامعة الأزهر**
5. **رضوان، على حسن السيد رضوان، (الدخيل في التفسير) ، جامعة الأزهر، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية.**
6. **السيوطي، جلال الدين السيوطي، (تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي) ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر 20003م.**
7. **الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، (الملل والنحل) ، طبعة دار الفكر، 2001م.**
8. **محمد الخضر حسين، (البابية أو البهائية) ،مجمع البحوث الإسلامية**
9. **القاسمي، محمد جمال الدين القاسمي، (تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل) ، طبعة دار إحياء الكتب العربية، 1960م.**
10. **الشعراوي، فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي، (معجزة القرآن) ، القاهرة، طبعة مكتبة أخبار اليوم، 1993م.**
11. **الشاطبي، إبراهيم بن موسى أبو إسحاق الشاطبي، (الموافقات في أصول الشريعة) ، دار الكتب العلمية، 1993م.**
12. **الأصفهاني، الراغب الأصفهاني، تحقيق:محمد سيد كيلاني (المفردات في غريب القرآن) ، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي، 1961م.**